تطور حركة الاستيطان وتأسيس المستعمرات في المغرب القديم

The evolution of the settlement movement and the establishment of colonies in ancient Maghreb

L'évolution du mouvement de peuplement et l'établissement de colonies dans le Maghreb ancien

د. حمادوش بولخراص

جامعة ابن خلدون -تيارت

تاريخ الإرسال: 21-05-2021 - تاريخ القبول: 24-12-2022 - تاريخ النشر: 13-06-2023

ملخص

قام الرومان في أواخر العصر الجمهوري بدعم وتطوير حركة الاستيطان في المغرب القديم عن طريق إنشاء وتأسيس المستعمرات، للمغامرين والفلاحين وخاصة الجنود المتقاعدين القادمين من كل أنحاء الإمبراطورية الرومانية، وذلك بالتخطيط على المدى الطويل وبذل الجهود الجبارة مع تسخير كل الإمكانيات لإنجاح العملية، في بداية الأمر اعتمد الرومان على تطبيق سياسة محكمة تمثلت تارة في مهادنة ملوك وأمراء بلاد المغرب القديم وتارة أخرى في خلق الصراعات فيما بينهم، بعد أن استتب الأمر للرومان واكتملت عندهم أسباب القوة المادية والمعنوية شرعوا في احتلال البلاد، بداية من قرطاجة مروراً بنوميديا ولم يتوقفوا إلاّ بعد ضم موريطانيا، وذلك بإتباع سياسة التدرج والتأني في تحقيق الغاية المنشودة لاحتلال البلاد وتسخير أهلها، إن تغير نظام الحكم الروماني من ملكي إلى جمهوري ثم إمبراطوري أو تغير الحكام، لم يؤثر في سياسة الرومان المتمثلة في الاستحواذ على أراضي الشعوب المجاورة تارة باعتماد الدبلوماسية وأخرى باستخدام القوة العسكرية، بقيت هذه السياسة على حالها ولم تتغير رغم الصراعات والحروب الداخلية، هذه الخطوات كلها طبقت في ضم المغرب القديم مع إنشاء المستعمرات الاستيطانية على ترابه والتي كان لها بالغ الأثر على المنطقة في رومنتها خاصة فترة حكم الإمبراطور أغسطس الذي أحيى ودعم حركة الاستيطان ودفعها من جديد بوسائل وطرق مختلفة وجد فعالة، هذه السياسة استمر خلفائه في تكريسها، والتي نتج عنها تهميش وتهجير السكان الأصليين إلى المناطق النائية.

الكلمات الدالة: المستعمرات؛ الرومان؛ المغرب القديم؛ قيصر؛ أغسطس.

Abstract

During the late Republican period, the Romans supported and developed the settlement movement in the ancient Maghreb by establishing colonies of adventurers and peasants, especially retired soldiers arriving from all parts of the

Roman Empire. The Romans employed long-term planning and massive efforts while harnessing all possibilities for the success of their operations. At times, they applied strict policies, calmed the ancient Maghreb kings and princes while occasionally creating conflicts among them. After Romans consolidated their material and military power, they started the occupation of the country from Carthage to Numidia. The process of territorial acquisition continued until the occupation of Mauritania. The Romans followed a gradual policy in achieving the required goal of occupying the country and harnessing its people and neighbors, through diplomacy and military force, a policy that has not changed despite ongoing conflicts and internal wars. All these steps were applied in annexing the ancient Maghreb with the establishment of settlement on its lands, which had a great impact on the region in Romanization and especially during the reign of Emperor August, who re-supported the settlement movement and pushed it back using various effective means. This policy continued with his successors, as a consequence, the indigenous people were marginalized and displaced to remote areas.

Keywords: colonies; romans; ancient Maghreb; Caesar; August.

Résumé

À la fin de l'ère républicaine, les Romains ont soutenu et développé le mouvement de colonisation dans Maghreb antique en établissant des colonies, en soutenant l'installation des aventuriers, des paysans et des soldats à la retraite venus de toutes les parties de l'Empire romain, en mettant à leurs dispositions tous les moyens et en leur accordant une batterie de facilités. Pour réaliser cette politique ils ont suivi une méthode planifiée à long terme assortie de mesures d'apaisement à l'égard des rois et princes de l'ancien Maghreb et aussi d'incitation au développement des conflits entre eux. Dès que ces objectifs furent atteints grâce l'utilisation de leur force matérielle et morale, ils ont commencé à occuper le pays, de Carthage à la Numidie et ne se sont arrêtés qu'après l'annexion de la Mauritanie, En adoptant une politique de gradualisme et de patience , ils ont pu gérer l'évolution de la monarchie au système républicain puis au système impérialiste pour poursuive leur entreprise d'accaparement des terres des peuples voisins, en alternant l'usage de la force militaire et le recours à la diplomatie. En agissant ainsi, les romains, ont pu le Maghreb antique et établir des colonies sur son territoire. L'application de cette politique a eu un grand impact sur la région notamment sous le règne de l'empereur Auguste et de ses successeurs. Elle a provoqué la marginalisation, le paupérisation et le déplacement des populations autochtones vers des zones reculées et non fertiles.

Mots-clés: colonies; Romains; Maghreb antique; César; Auguste.

مقدمة

يبدو من خلال تتبع سياسة الرومان اتجاه الشعوب المحتلة المتمثلة خاصة في إنشاء المستعمرات داخل أراضي الحلفاء قبل الأعداء يعد بمثابة تحول جد خطير في السياسة الخارجية للرومان، هذه السياسة مكنت من امتصاص الأعداد الغفيرة من الجنود المسرحين اللذين انهوا الخدمة العسكرية، وكذا التقليل من الغوغاء والبطالين في روما ذاتها، هذه الشرائح كان لها نصيب أوفر بمساهمتها في توسيع رقعة الإمبراطورية عن طريق تأسيس المستعمرات ودعمها نظراً لوجودها بأراضي المقاطعات التي ستكون مستقبلا أراضي رومانية بعد الاجتياح، ولأهمية هذه الفترة من الناحية التاريخية والتي تعتبر مرحلة انتقالية خاصة مع بداية النظام الجديد الذي فرضه الإمبراطور أغسطس لتجسيد سياسته في الدولة الرومانية ومنها تأمين حدودها وتوسيع رقعتها وذلك بإخضاع العديد من الشعوب المجاورة لها والتأثير فيها مع رومنتها.

تهدف هذه الدراسة في إظهار سياسة الرومان التوسعية وانعكاساتها على المغرب القديم المتمثلة في إنشاء وتأسيس المستعمرات مع توافد الأجانب ونشر الثقافة والفكر اللاتيني في أوساط سكان المغرب القديم، كل ذلك ينم عن البراعة التي أظهرها الرومان في إدارة شؤون الدولة الرومانية واستيلائهم على أراضي الشعوب المجاورة، مستعينين في ذلك بالجيش وبنخبة من اهم رجالات العصر، ولهذه التطورات والأحداث تطرح الإشكالية التالية: ما هي غاية الرومان من دعم حركة الاستيطان وإنشاء المستعمرات في المغرب القديم؟

1.السياسة الرومانية في المغرب القديم

أظهرت الدراسات السابقة للتاريخ الروماني مدى نجاح خطط الرومان الاستعمارية للمغرب القديم والتي كانت تسير بثبات منذ وضع أقدامهم في البلاد بعد احتلالهم قرطاجة، كانت معظم الأراضي الزراعية والفلاحية قد تمكن منها المعمرين وتحت تصرفهم (شنيتي، 1985، صفحة 137)، وبعد فترة زمنية قصيرة احتلت نوميديا ثم ألحقت موريطانيا مباشرة بالإمبراطورية الرومانية (Albertini Eugène, 1922, p. 07).

لقد انتعشت حركة الاستيطان في المغرب القديم بعد انتصار قيصر في ولاية إفريقية ومملكة نوميديا (شنيتي ، 1985، صفحة 128) (Gsell. St, 1928, p. 168)، الذي قام بإتباع سياسة

استيطانية كبرى عندما شرع في تقسيم مملكة نوميديا، وذلك بتحويل جزء من أراضيها الشرقية تحت اسم ولاية إفريقية الجديدة (Africa Nova)، وضم الجزء الغربي منها إلى أملاك بوخوس الثاني وتأسيس مستعمرة في الشمال من نصيب مرتزقة سيتيوس (حارش، 2013، الصفحات 35-36) (Mommsen. Th, 1872.T.VIII, pp. 36-37)، كما استولى على الأراضي والمدن التي كانت تحت أيدي خلفاء ماسينيسا سابقاً منها دوقا (Thugga) وتيغنيكا (Thignica) ونملولي (Numluli) (شنيتي ، 1985، صفحة 129).

كذلك قام ببيع كل أملاك يوبا الأول ومن تبعه في حمل السلاح من الأمازيغ وحتى الرومان ضد الجمهورية الرومانية (Velléius Paterculus, 1854, p. XCVII) وبعد استقرار الوضع نصب ساليستيوس على الولاية الجديدة (Vivien. M, 1863, p. 104) (Dureau de La Malle, 1852, p. III) كحاكم برتبة بروقنصل (Proconsul) (Colonel. M, 1903, p. 09).

إثر هذه العملية عاد قيصر إلى أوتيكا وباع كل أملاك الأعداء، كما فرض على المدن المحيطة بها غرامة حربية مقدارها 200 مليون سيستريوس، تقدم مدينة ثابسوس خمسة ملايين ومدينة حضرموت ثمانية ملايين، وأوتيكا تدفع كل سنة 300 ألف لتر من الزيت بسبب تدعيمها ليوبا الأول (César, 1865, p. ch.XCVII) أما عن تيسدرة تدفع كمية معتبرة من القمح، بقية الجهات الغربية حصَل عليها بوخوس الثاني وبوقود الأول نظراً لمساندتهم قيصر، هؤلاء هم ورثة بوخوس الأول الذي انحاز من قبل إلى الرومان بقيادة ماريوس في حربه ضد يوغرطة (Boissière Gustave, 1878, p. 189).

أصبحت موريطانيا بهذه الترتيبات الحديثة مجاورة للمقاطعة الرومانية الجديدة (Mommsen. Th, 1872.T.VIII, p. 36)، إثر هذه التغييرات غادر قيصر مدينة أوتيكا متجهاً إلى مدينة كارالیس (Cagliari / Caralis) الواقعة على سواحل سردينيا التي وصل إليها في 14 أبريل، ثم غادر إلى روما في 25 ماي 46 ق.م. (Colonel. M, 1903, p. 11)،(Duruy Victor, 1970, p. 329)

بعد عودته إلى روما (Jean-Louis Voisin, 1983, pp. 7-8) خاطب جمهورها محتفلا بانتصاراته على مملكة مصر ومملكة البونت ثم إفريقية (Plutarque, 1853.T.III, p. LV) ، هذه البلدان التي أرضخها لصالح الشعب الروماني، الذي سيستفيد منها كل سنة من حوالي 200 ألف صاع من القمح وثلاثة مليون لتر من الزيت (Plutarque, 1853.T.III, p. L.VI)، حتى أنه أحضر معه ابن يوبا الأول الذي لم يكن حينها إلاّ طفلاً و40 فيل، كما سلم لكل جندي من كتائبه خمسة

ألاف دينياريوس (Denier / Dinarius)، وبعد تسميته قنصل للمرة الرابعة اتجه إلى إسبانيا لمحاربة ابن بومبي وما تبقى من أعداء الجمهورية (شنيتي، 1985، صفحة 129).

الشيء الملفت للانتباه هو ما قام به قيصر عندما أمر بإعادة بناء مدينة رومانية على أنقاض مدينة قرطاج، رغم أن المكان اعتبره الرومان ملعون لكنه تجرأ وخرج على العرف لأنه يعرف أن الموقع ممتاز وعلى الرومان استغلاله في عملية الاستيطان، يبدو أن قيصر كانت لديه نظرة تقدمية جديدة في مجال السياسة الخارجة الرومانية، هذه الإجراءات التوسعية وإنشاء المستعمرات كانت لها أهداف في نظره، يمكن اعتبارها حدود مؤمنة لحماية الولاية الإفريقية القديمة، ربما خوفاً من انتفاض النوميديين وقيام الثورات، خاصة بعد إزالة مملكة نوميديا وتفكيكها (Ch.-André Julien, 1931, p. 164)، حسب ما يبدو من رغبة قيصر في التوسع مع اعتماد سياسة الاستيطان، برامج قيصر في المغرب القديم كانت محاولات أغلب الحكام الرومانيين، بداية من الإخوة جراكوس التي باءت بالفشل بسبب تصادم المصالح إلى غاية جلائهم النهائي.

1.1. بداية الاستيطان وتأسيس المستعمرات

في أواخر العصر الجمهوري بدءا من ماريوس إلى فترة قيصر بلغ عدد الجنود الرومان المتقاعدين الذين استفادوا بمشاركتهم في الحملات الرومانية على الأقاليم حوالي 80 ألف حسب ما ذكره كل من سويطونيوس (Suetonius) وديون كاسيوس (Dion Cassius)، معظمهم استوطن اليونان وخاصة المغرب القديم نظراً لأهميته الفلاحية والزراعية. (Quoniam Pierre, 1952, p. 460) (Pline, Histoire naturelle, 1877.T.I. L.V. XX, p. III.I).

تعتبر مستعمرة سيتيوس أضخم مشروع في إقليم كيرتا (Cirta) قسنطسينة حاليا، تم انجازه بنجاح من طرف قيصر، هؤلاء المرتزقة الكمبانيين لم يكتفوا بالأراضي التي تحصلوا عليها، بل قاموا بالتوسع على حساب الجيران النوميديين وضم أراضيهم بقوة السلاح، استولوا على مدينة روسيكاد (Rusicad) سكيكدة حاليا، ميلاف (Milev) ميلة حاليا (شنيتي، 1985، صفحة 130) (Gsell. St, 1928, p. 161) وشولو (Chullu) القل حاليا أي تقريباً شمال وشرق سيرتا (Cirta) قسنطينة حاليا وتوسعوا حتى باتجاه الجنوب.

هذه المستعمرة ذات الطابع غير القانوني كان لها دور فعال في المنطقة، بسبب موقعها الجغرافي في منطقة جبلية محصنة مكنها من السيطرة على السكان المجاورين خاصة في

المناطق الصعبة المنال، زيادة على ذلك دفع عجلة الأنشطة الاقتصادية والسياسية وحتى الاجتماعية، هذا ما سهل للرومان مستقبلاً فعالية السيطرة والهيمنة في معظم الميادين.

لم يقتصر الأمر على إنشاء المستعمرات وتوطين واستقرار المستعمرين الرومان في ولاية إفريقية الجديدة، شمل الاستيطان حتى المدن التي لم تحصل على صفة المستعمرة مثل: مدينة سيكا (Sicca) ومدينة بولا ريجيا (Billa Regia) التي يرجع تأسيسها إلى فترة حكم ملوك نوميديا والتي كانت خارج ممتلكات قرطاجة (Pline, Histoire naturelle, 1877.T.I. L.V. XX, p. II.I) (Quoniam Pierre, 1952, p. 460).

2.1 أهم المستعمرات التي أنشأت

لا يمكن تحديد ومعرفة تاريخ فترة انجاز المستعمرات التي ظهرت في عهد قيصر وأغسطس، نجد التداخل في تصنيف المستعمرات زمنياً، لأن إنشاء المستعمرات في فترة قيصر استمر بعده خاصة في فترة أغسطس حتى أنه أطلق عليها نفس التسمية يوليا Julia ومن أهم هذه المستعمرات في مقاطعة إفريقية الجديدة (Africa Nova)، خاصة عاصمتها التي استوطنها الرومان وسميت مستوطنة يوليا كيرتا الجديدة سيقا ونيريا (Colonia Iulia Cirta Nova Sicca Veniria) حاليا مدينة الكاف، ومستوطنة كيرتا التي وهبها إلى المرتزقة السيتيين، ألحقت بمقاطعة إفريقية الجديدة بعد مصرع سيتيوس، التي أصبحت بعده تسمى مستوطنة يوليا (Colonia Julia) (CIL VIII, 1881, pp. 1632, 16258 u. 27568,)، (Pline, Histoire naturelle, 1877.T.I. L.V. XX, p. II.I) ومستعمرة قرطاجة (Colonia Concordia Iulia Carthago) التي أمر بتأسيسها سنة 44 ق.م تحت اسم مستوطنة قرطاج الوثامية اليولية، بعثت بعد مصرع قيصر مع منتصف شهر مارس، كما أسست كذلك مستعمرات أخرى منها:

مستعمرة كلوبيا (Clupea)، زنفور(Assuras)، الكاف(Venira)، شمتو(Simithu)، وذنة(Uthina)، بنزرت(Hippe Diarrhytus)، منزل القورشي(Thub)، رادس(Maxula) وربما تقرر تأسيس مستعمرات أخرى بموانئ كيربيس (Curubis) قربة حاليا، وكربي(Carpi) المريسة حاليا، ونيابوليس(Neapolis) نابل حاليا، كلها عبارة عن مدن ساحلية بموانئ زاخرة (المحجوبي، 2001، صفحة 88).

يبدو تأسيس هذه المستعمرات يعود إلى وقت متأخر عن قيصر، ظهر معظمها في فترة حكم أغسطس، لكنها بقيت بالنقوش التي تحمل اللقب اليولياني وهذا من أسباب عدم التعرف على بدايات تاريخ الإنجاز بالضبط، على سبيل المثال مستعمرة قرطاجة أسست من طرف أغسطس ومع ذلك احتفظت النقوش باللقب اليولياني، ونظرا لأهميتها من قبل أغسطس حافظ على اسمها ألبوني، كما قام بتوسعتها مما جعلها مدينة تضاهي المدن الرومانية الكبرى، كما استردت مكانتها الحضارية تحت غطاء روماني بعد إحيائها وجعلها منارة للرومان والشعوب التابعة في المغرب القديم، مما أدى ذلك إلى ذوبانهم في الإطار المتجدد تحت راية الرومان التقدمية (شنيتي، 1985، الصفحات 134-135)، كل ذلك كان ينم عن سياسة بعيدة النظر خاصة فيما يتمثل باستقطاب السكان الأمازيغ وقابليتهم للاندماج في الوضع الجديد، المتمثل في استمرار تأسيس المستعمرات من طرف أغسطس وخلفائه الأباطرة من بعده (شنيتي ، 1985، صفحة 134).

2. تجدد حركة الاستيطان وتأسيس المستعمرات في البروقنصلية

نشبت الحرب الأهلية الثالثة مباشرة بعد مصرع قيصر التي دامت حوالي 14 سنة، لم يستقر الوضع بمقتل قيصر بل استمرت الحرب حتى قُضي على آخر قتلة قيصر (Diodore, 1744.T.VII, p. L.XXXVII.II.143)، انتهى الأمر في الأخير إلى صالح أغسطس وحلفائه، ما نتج عن انتصاراته هو أعاد إحياء عملية الاستيطان بسبب توقف نشاطها أثناء الحرب الأهلية، والتي ساهمت في هجرة المعمرين لأراضيهم وانخراطهم في الجيش ضمن صفوف اميليو سلبيديوس (Aemilius Lepidius) سنة 36 ق.م (شنيتي ، 1985، صفحة 132) ومنهم من توجه إلى روما، هذا ما جعل أغسطس يفكر في مستقبل الاستيطان في المغرب القديم، قام مباشرة بإرسال ستاتيليوس طوروس (Statilius Tourus) سنة 35 ق.م من اجل المحافظة على المستعمرات، خاصة المتواجدة بمقاطعة إفريقية، هذه الخطوة تعتبر نقلة كبرى في التمهيد لعملية الاستيطان التي باشرها أغسطس من اجل الحفاظ على الممتلكات الرومانية حتى ينجلي الوضع بينه وبين خصمه القوي انطونيوس وتضع الحرب أوزارها بعدها يتفرغ إلى عملية الاستيطان (أبو العطا، 2007، ص 38-39).

يذكر انه بعد استتباب الأمر واستحواذه على السلطة سنة 27 ق.م وبالضبط سنة 26 ق.م (Strabon, Géography, 1967.Vol. VIII, p. L.XVII.III.12)، شرع في مسح الأراضي التي كانت تابعة

للمرتزقة الكمبانيين، كما أعاد تنظيم الجيش برفع عدد الكتائب، هذا الجيش كانت له مكانة كبيرة خاصة بعد خروجه من الحرب الأهلية الثالثة منتصرا، قرر تسريح الجند المرتزقة والجند القدامى (سيد الناصري، 1991، الصفحات 44-45)، مع توجيههم مباشرة إلى المغرب القديم كمعمرين جدد وإقطاعهم أراضي خصبة جديدة منتشرة عبر البلاد خاصة في إقليم قرطاجة.

حيث استفاد من هذه العملية حوالي 03 ألاف مجند من الكهول اللذين انهوا خدمتهم العسكرية، إثر هذه العملية نشطت بها حركة الاستيطان أكثر من ذي قبل بسبب بناء مستعمرات أخرى إلى جوارها، كما أسست عدة مستعمرات على الشريط الساحلي لإقليم نوميديا ومملكة موريطانيا، يذكر أنه شرقي نوميديا والمقاطعة الإفريقية أي من نهر الأمبساغا إلى قورينة خضع نحو 26 أمة و06 مستعمرات و 15 مدينة مصنفة على أساس مدينة رومانية أو بلدية، مهظمها ظهر فترة حكم أغسطس حسب الأب ميسناج (J. Mesnage, 1913, pp. 45-46) الذي تحدث عن تأسيس أكثر من 35 مستعمرة بداية من خليج السرت إلى المحيط الأطلسي (شنيتي، 1985، صفحة 133)، هذه المستعمرات ظهر معظمها في فترة أغسطس، مع تمركز الرومان بقوة في المغرب القديم (دنيس بولم، 1974، صفحة 38) زيادة على ذلك انتشرت عدة مستعمرات في شرقي نوميديا.

كل هذه الأعمال تمت عندما آل الحكم إلى أغسطس أصبحت تحت سيطرته كل أركان الدولة خلال الفترة الممتدة بين 36 ق.م - 27 ق.م خاصة بعد انتصاره على لبديوس في صقلية (المحجوبي، 2001، صفحة 89)، وعملاً بالاتفاق المبرم في 13 جانفي 27 ق.م بينه وبين مجلس الشيوخ (مسرحي، 2009، صفحة 91)، حيث قام بتقسيم المقاطعات بينه وبين المجلس، ألحقت برقة بجزيرة كريت مكونتا مقاطعة جديدة تابعة لمجلس الشيوخ، إلى جانب ولايتي إفريقية اتحدتا في مقاطعة واحدة عند ضم مقاطعة إفريقية الجديدة بعد 20 سنة من إنشائها من قبل يوليوس قيصر (المحجوبي ، 2001، صفحة 91).

عرفت باسم المقاطعة بإفريقية البروقنصلية (Africa Proconsularis) عهد بها إلى مجلس الشيوخ الروماني (مصطفى ، 1966، صفحة 85) شكلت تحت سلطة حاكم برتبة بروقنصل (Ch.-André Julien, 1931, p. 160) بتجديد حركة الاستيطان في البروقنصلية مع تقسيمها إلى ثلاث دوائر إدارية استغلت كقاعدة في توزيع الأسس الضريبية، زيادة إلى المقاطعات الإدارية

والقضائية التي تحولت فيما بعد إلى دوقيات وهذا بعد ضم باقي نوميديا، ولم تقتصر جهوده على قرطاج بل بدأ يسلك سياسة التعمير والتمدين، ثم توسع حولها مجددا فيها عملية الاستيطان، أسس بلديات أهلية مستقلة في الكاف وهنشير والقصبات (Ch.-André Julien, 1931, p. 164).

1.2 استمرار تأسيس المستعمرات في موريطانيا

اعتمد الرومان بداية من أغسطس وخلفائه سياسة اللين وتحسين العلاقة مع المجتمع الموري تفادياً للصراعات، حيث المواقف المرنة اتجاه القبائل المورية مع استعمال سياسة التودد والمداهنة اتجاه شيوخ القبائل لكسب الولاء والثقة، كل ذلك من اجل الحفاظ على المستعمرات الرومانية خوفاً من اجتياحها من طرف القبائل خاصة الريفية، ولهذا اعتمد الأباطرة الرومان بدءاً من أغسطس هذه السياسة التي اقتضت تجنب الاستيلاء على أراضي الموالين وتركها بين أيدي أصحابها.

بدأ أغسطس بتأسيس المستعمرات على تراب موريطانيا بين سنتي 33 ق.م إلى 25 ق.م، أي فترة فراغ العرش الموريطاني من الوريث الشرعي، كان ذلك بعد وفاة بخوس الثاني، لكن الرأي استقر في روما على تنصيب يوبا الثاني (Juba II) على عرش موريطانيا بغرض الحكم الروماني المباشر مستقبلاً والذي التزم باحترام نظام الحماية والوفاء لروما وللأسرة اليولية، حيث قام بتهيئة عاصمة المملكة على النموذج الروماني اعتمادا على الفنيين الإغريق لتصبح روعة في الفن المعماري الإغريقي الروماني، كما غير اسمها القديم يول Iol إلى اسم قيصرية (Caesaria) تيمنا بقيصر صاحب نعمته، كما فعل صديقه الملك هيرودوس (Herodus) في محمية فلسطين (المحجوبي ، 2001، صفحة 91).

اتبع أغسطس نظام سياسي وبرنامج إداري عسكري وديني بعيد المدى في موريطانيا، ولجعلها ولاية رومانية أمر يتطلب نفقات وأعباء ومجهودات كثيرة، وعلى هذا فضل تنصيب يوبا الثاني ملكاً عليها، الذي قام بدور مزدوج في آن واحد، أما عن الوحدات الإدارية في موريطانيا لم تكن تماثل غيرها من المقاطعات الرومانية، كانت توجد بها البلدية (Municipea)، والمستعمرة (Colonia)، والتي شاعت تسميتها بـ (Respublica).

كانت تتمتع بوضعيات قانونية مثل المقاطعات الرومانية الأخرى من حيث الهياكل والصلاحيات والحقوق والواجبات، لم يقم أغسطس بإلحاقها بأي ولاية بل قام

بالإشراف عليها لفترة وجيزة، ثم قسمها إلى بلديات ذات طابع استيطاني (غانم محمد، 1998، صفحة 104)، من أهم مدنها ايول المدينة الساحلية التي فيها مقر عرش يوبا الثاني، ونظراً لأهميتها الثقافية والاقتصادية كانت وجهة كل مغامر، قام الملك بإصلاح ميناءها كما طور مدناً أخرى مثل سلا وبنازا وفولوبيليس التي اعتبرت العاصمة الثانية للمملكة، كما ساعد في تسيير شؤون المملكة مجلس يتكون من عدد كبير من الموظفين والخدم والحرس والمساعدين، أما عن اللغة اعتمدت الإغريقية في موريطانيا خاصة في القصر.

انطلقت حركة الاستيطان بعد خلو عرشها من الزعامة السياسية، واستمرت هذه الحركة خلال عهد يوبا الثاني، وهذا ما ذكره سترابون بقوله: +على الساحل كان ذكر ايول التي أعاد بنائها جوبا وتغيير إسمها (Caesareia) تحتوي على ميناء كبير، على جزيرة صغيرة مابين قيصرية وتريتون (Tretum) ميناء يسمى (Salda)" (Strabon, Géography, 1967.Vol. VIII, pp. 17.III.11-12)، كما شيد يوبا الثاني في العاصمة قيصرية معبداً خاصاً للإمبراطور. (بيومي مهران، 1990، صفحة 294)

1.1.2 موريطانيا الشرقية

وكانت تضم كى من كارتيناس (Cartennas) تنس وغنوجي (Gunugi) قوراية حاليا قبة سيدي إبراهيم وروزوكورو (Rususccuru) دلس وروزازوس (Rusazus)أزفون وصلداي (Saldae) بجاية واجيلجيلي (Igilgil)جيجل وتوسكا (Tucca)عند مصب الوادي الكبير وزوكابار(Zucchabar) مليانة وطوبوسيبتو(Tubusuptu) تكلات على وادي الصومام (شنيتي ، 1985، صفحة 133)

2.1.2 موريطانيا الغربية

أسست من طرف أغسطس بين سنتي 33 إلى 27 ق.م، أهم المستعمرات كولونيا يوليا كمبستريس بابا في الجزء الغربي أي موريطانيا الطنجية فيما بعد، لكن هذه المستعمرة لا تظهر في مسلك أنطونين هذا الاسم وجد على أحد النقوش الكولونيالية في تامودة (Tamuda) وآخر في دشر(Dchar)، تبعد حوالي 40 كلم عن لكسوس (Lexos) سوق الأربعاء حاليا، شيدت لحماية خليج قادش من هجمات البدو الموريين المتسللين من جهة واد سيبوس (Sububus /Sebou) حسب بلين، إلي جانب مستعمرة بابا يوجد مستعمرة

كونستانتيا زيليل (Constantia Zilil)(Euzennat.M, 1991, pp. 1-2) (Pline, Histoire naturelle, 1877.T.I. L.V. ومستعمرة فالنتينا بانازا(Valentina Banaza). (Gsell. St, 1928, p. 204) (XX

3. أثر عملية الإستيطان على المنطقة

منح أغسطس مدينة طنجة الحقوق الرومانية بعدما استدرجهم للخروج على ملك موريطانيا الغربية بوغود الذي كان في صف انطونيوس، كل ذلك بطبيعة الحال تم بمساعدة الملك بوخوس الثاني ملك موريطانيا الشرقية حليف أغسطس، حتى المدن الشهيرة مثل ليكسوس وشالا (sala) منحت الحقوق اللاتينية نظراً لتعاونها، ثم تحولت فيما بعد إلى حقوق المستعمرة الرومانية في فترة حكم كلوديوس، كما أعلنت وليلي (Volubilis) التي تأتي في المرتبة الثانية من حيث الأهمية كمستعمرة فلاحية للرومان أثناء حكم كاليغولا (Caligula) مباشرة بعد زوال مملكة موريطانيا، هذه المستعمرات معظمها ظهر أثناء حكم يوبا الثاني وبطليموس، حتى أن الكتابات التاريخية تذكر أنهم شاركوا في تدشين معظمها (شنيتي ، 1985، الصفحات 134-135).

لقد تم تدخل الرومان المباشر في الشؤون الخاصة لبلدان المغرب القديم بإتباع عدة طرائق بهدف السيطرة على مصدر التموين خاصة، وذلك بالتدخل والإشراف على فضّ النزاع بين الإخوة ورثة العرش أو دعمه، مع تقسيم وتشتيت الممالك المغاربية لتكون دائماً في وضع أضعف مع عدم استقرارها وإبقائها كمورد وسوق اقتصادي أساسي بجعلها ملجأ للصراعات الرومانية (Hilali Arbia, 2011, p. 52)، وعند أي محاولة للتخلص من التبعية بالتحرر والإنفراد تعتبره روما تمرد وعصيان عليها، وتتم محاربته بكل الوسائل والطرائق، هذا المظهر أضحى واجب وعلى المملكة التابعة الطاعة لأوامر روما، وبعد السيطرة الكلية تبعث روما بموظفيها للعمل في استنزاف كل ما تحويه تلك المملكة مع غرس حضارتها اللاتينية بكل أشكالها.(Boullaire, 1862, pp. 10-13)

هذا ما أضحت عليه كل الأمم والمدن والملوك التابعين الذين كان هدفهم كسب الحصانة من جانب روما القوي مع تقديم خدمة الشعب الروماني، وهذا ما حل بالمغرب القديم من احتلال نتيجة تفرق أهله من نوميد و مور وحروبهم المستمرة عبر السنين من أجل السيادة والمال وعدم امتثال رجالاته للأوامر حتّ عند يوم الزحف وجهل غالبيتهم بتقنيات وضع إستراتجيات خوض المعارك متى يجب الهجوم ومتى يكون وقت الانسحاب

وكيفية الدفاع كل ذلك كان في صالح الرومان الذين أتقنوا هذه الفنون، هذا ما مكّنهم من المنطقة وجعلها سوق ومرتع لكل روماني مغامر، ما يمكن استخلاصه من انتصار الرومان في المغرب القديم من خلال تأسيس المستعمرات ودعم حركة الاستيطان لم يكن مبني على القوة كأساس أولي إنما تفرق السكان الأصليين هو ما سمح بتحقيق أهدافهم.

خاتمة

مع إبراز أحداث هذه الفترة التاريخية الهامة من تاريخ المغرب القديم أثناء التوسع والسيطرة الرومانية في أواخر العصر الجمهوري، فترة قيصر وأغسطس وفرض منطقهما ومكانتهما في روما من خلال السياسة الرامية إلى توسيع رقعة الإمبراطورية الرومانية على حساب الشعوب الأخرى وذلك بضم أراضيها باستعمال كل الوسائل المتاحة، وما نتج عن هذه السياسة من تغيير هو خلق الصراع والفوضى والاضطراب في البلدان المراد احتلالها منها بلاد المغرب القديم، كل ذلك كان منذ سقوط المملكة القرطاجية إلى إقدام أغسطس في تنشيط حركة الاستيطان وتأسيس المستعمرات على الشريط الساحلي لبلاد المغرب القديم، قبل وبعد تنصيب يوبا الثاني ملك على عرش موريطانيا، وهذا من أجل تعزيز العملية الاستيطانية التي بلغت أوجها في أواخر العصر الجمهوري، والذي سيكون لهذه الحركة الاستيطانية سند في الحاضر ومقدمة لتثبيت الاحتلال الروماني مستقبلاً، حتى يوفر الغذاء والرفاهية للشعب الروماني على حساب شعوب المنطقة.

المراجع

1.الناصري سيد علي،1991. تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، ط.1، دار النهضة العربية، القاهرة.

2.محمد بيومي مهران، 1990. المغرب القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

3.محمد الهادي حارش، 2013. دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر وبلدان المغرب في العصور القديمة، دار هومة، الجزائر.

4.محمد البشير شنيتي، 1985. الاحتلال الروماني لبلاد المغرب: سياسة الرومنة 146ق م -40 م، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

5.عمار المحجوبي، 2001. ولاية إفريقيا من الاحتلال الروماني إلى نهاية العصر السويري (146ق.م- 235 م)، مركز النشر الجامعي، تونس.

6.عبد المنعم مصطفى كمال، 1966. دراسات في تاريخ ليبيا القديم، المطبعة الأهلية، بنغازي.

7.صغير غانم محمد، 1998. المملكة النوميدية والحضارة البونية، دار الأمة، الجزائر.
8.دنيس بولم، 1974. الحضارات الإفريقية، تر. علي شاهين، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.
9.الحسين إبراهيم أبو العطا، 2007. مظاهر الحضارة البطلمية الرومانية، الهيئة العامة لدار الكتب، مصر.
10. جمال مسرحي، 2009. المقاومة النوميدية للاحتلال الروماني في الجنوب الشرقي الجزائري، ثورات الأوراس والتخوم الصحراوية نموذجاً، جامعة منتوري، رسالة ماجستير، قسنطينة.
11. عبد القادر بوعزم، 2005. التوسع الروماني والمقاومة المغاربية (مقتل بطليموس ورد فعل الموريين)، وهران، مجلة عصور، العدد، 6-7.
12. Albertini, E. (1922). *L'Afrique Romaine.* Alger: Imprimerie Fontana Frères.
13. Boissière, G. (1878). *Esquisse d'une Histoire.* Paris: Librairie hachette.
14. Boullaire, J. (1862). *Etude des lois Julia et Papia Poppaea.* Paris: Charles de Mourgues Frères.
15. Boullaire, J. (1862). France: Charles de Mourgues Frères.
16. César, J. (1865). *Guerre d'Afrique.* Paris: Librairie de Firmin Didot Frères.
17. Ch.-André, J. (1969). *Histoire de L'Afrique de Nord.* Paris: Payot.
18. Colonel. M, M. (1903). *Compagne de Jules césar en Afrique, Revue Africaine, Vol,* 47. Alger: A. Jourdan, Libraire-éditeur.
19. Diodore. (1744). *Histoire universelle, Tome. VII.* Paris: Chez de Bure.
20. Dureau, d. L. (1852). *M, l'Algérie (Manuel Algérien.* Paris: Librairie de Firmin Didot Frères.
21. Duruy, V. (1970). *Histoire des Romains, Tome. III,,.* Paris: Librairie Hachette.
22. Euzennat.M, M. (1991). *Babba Colonia Iulia Campestris* . Aix-en-Provence: Revue Encyclopédie berbère, 9.
23. Gsell, S. (1928). *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord, T. I.* Paris: Librairie Hachette.
24. Hilali, A. (2011). *l'Etat romain et les violences collective dans les provinces de l'Afrique du Nord.* perpignans: presses universitaires .
25. J. Mesnage, L. P. (1913). *Le, P. J. Mesnage, Romanisation de l'Afrique.* Paris: Gabriel Beauchesne.
26. Jean-Louis, V. (1983). *Le triomphe africain de 46 et l'idéologie césarienne. In: Antiquités Africaines.* Ex. France: Centre Camille Jullian (CNRS).
27. Mommsen, Th, (1881). *C.I.L. Corpus Inscriptionum Latinarum,* VIII: Inscriptiones Africae Latinae, Berlin,
28. Mommsen, Th. (1872). *Histoire Romain, Tome, VIII.* Paris: Librairie, A. Franck.
29. Pline. (1877). *Histoire naturelle, Tome. I.* Paris: Libraires, Firmin- Didot.
30. Plutarque. (1853). *Vie des Hommes Illustrée, Tome. III.* Paris: Charpentier, Libraire- éditeur.
31. Quoniam, P. (1952). *Fouilles récentes à Bulla Regia (Tunisie).* France: In: Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres,96e année,N.3.

32. Strabon. (1967). *Géography, Volume. VIII.* London: Harvard University.
33. Velléius, P. ,. (1854). *Salluste, Jule César, Trad. M. Nisard.* Paris: Librairie de Firmin Didot Frères.
34. Vivien, D. s. (1863). *Le Nord de l'Afrique.* Paris: Imprimerie Impériale.